مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

# الخطاب التاريخي والقيمي في القصة للناشئة
# "رؤى ثقافية" في إصدارات الكاتبة أمنة برواضي
# Historical and Value-Based Discourse in the Story for Young People
# "Cultural Visions" in the Publications of the Writer "Amina Barouadi"

د. محمد ايت احمد
باحث في السرد وتحليل الخطاب
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين- سوس ماسة

مُلخص: نروم من خلال هذه الدراسة الاقتراب إلى نبض الإبداع وحس الإمتاع في خمس قصص موجهة للطفل واليافع من تأليف الكاتبة المغربية أمنة برواضي، ومن موقع قرائي ثقافي نتذوق الأبعاد الخطابية لهذه القصص على مستويين؛ المستوى التاريخي، لأن مادة التاريخ هي التي تحيلها الكاتبة إلى قصة للناشئة، والمستوى القيمي لأنه النتيجة المنتظرة من تلك المادة، وبما أن الرؤية الإبداعية للكاتبة قائمة من خلال هذين الإبدالين، فذلك يفتح أفقا نقديا ثقافيا لنا كدارسين:

أولا لتظهير أهمية هذا الارتكاز الخطابي كنواة في قصص الناشئة، وثانيا لتجديل التحليل في علائق هذه المستويات بالأسناد والمرجعيات الثقافية المتشعبة؛ وربطا بذلك نحاول في استنطاق هذه التجربة الإبداعية الخلاقة، استثمار بعض مُوجهات سيمياء الثقافة عند الروسي يوري لوتمان Juri Lotman واستراتيجية القراءة الثقافية لأدب الطفل لدى الكندي رودريك ماكجليس Roderick McGillis.

كلمات مفاتيح: أمنة برواضي، القصة، الطفل، اليافع، الناشئة، الخطاب التاريخي، الخطاب القيمي، سرديات ثقافية، سيميائيات ثقافية...

Abstract: Through this study, we aim to approach the pulse of creativity and the sense of enjoyment in five stories directed at children and young adults, written by the Moroccan writer Amina Barouadi. From a cultural reading position, we savor the rhetorical dimensions of these stories on two levels:

the historical level, because the history material is what the writer transforms into a story for young people, and the value level because it is the expected result of that material. Since the writer's creative vision is based on these two substitutions, this opens a critical cultural

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

horizon for us as scholars: first, to demonstrate the importance of this rhetorical foundation as a nucleus in stories for young people, and second, to braid the analysis in the relationships of these levels with the various cultural references and attributions.

In connection with that, we try to interrogate this creative and innovative experience, to invest some of the guidelines of cultural semiotics of the Russian Juri Lotman and the cultural reading strategy of children's literature of the Canadian Roderick McGillis.

Key Words: Amina Barouadi, story, child, adolescent, young adult, historical discourse, value discourse, cultural narratives, cultural semiotics...

- تمهيد

تَتموضع هذه الدراسة في إطار اهتمامنا بالخطاب السردي النسوي عامة، وضمنه أدب الطفل الذي أبدعت فيه المرأة المغربية بالخصوص، وهذا شأن قد لا يختلف فيه اثنان، ومما لا شك فيه أيضا أن السّبق الذكوري في هذا النوع من الكتابة أمر قائم بدليل[1]؛ وخاصة في الأقطار العربية، وإذ لا يجوز في صنافات الأجناس الأدبية استحضار هذا التمايُز النوعي الذي يكشف الهوية الجندرية للكاتب، فإن الأمر حينما يتعلق بأدب الطفل، تُصبح معه هذه الحسابات ذات أهمية كبيرة[2]، وذلك لسببين:

أولا: لأن طريقة كتابة المرأة للطفل، لا يُمكن في كل الأحوال أن تُماثل أو تُساوي طريقة الكتابة الرجولية للطفل؛ لاعتبارات كثيرة ترسم هذا الاختلاف وتزكيه، وعلى رأسها الاعتبار البيولوجي الذي يجعل من غريزة الأمومة لدى المرأة وخصوصيتها العاطفية كأنثى شأناً إبداعياً إضافياً، ويقيم لها وضعاً اعتبارياً حينما تخط لهذا المتلقي الذي هو جزء مُلتصق بها أكثر من التصاقه بالرجل.

1 يذهب جميل حمداوي في مقالة له بعنوان: قصص الأطفال بالمغرب منشورة في موقع ديوان العرب بتاريخ 20 يوليوز 2009 إلى أن قصص الأطفال بالمغرب، كانت ذكورية بامتياز، ولا نجد من الجنس الآخر في البدايات الأولى سوى ثريا السقاط وخديجة المسيح، على الرغم من أن الأنثى أقرب إلى عالم الطفل ومخياله الذهني والشعوري من الجنس الذكوري..

2 فالمشهد الإبداعي في الإنتاج للطفل بالمغرب وذلك إبان جنينيته، قد هيمن عليه صوت الكاتب الرجل، في حين كان ظهور الكاتبات في خضم هذه العملية شبه متأخر، ومن بين الكتاب الذين كان لهم تداول كبير خلال تلك المرحلة نذكر: عبد الغني التازي، و أحمد بنعبد السلام الساعدي، ومحمد علي الرحماني، ومصطفى غزال، وعبد المالك لحلو، وعبد الرحيم الكتاني، وعبد الحق الكتاني، ومحمد شفيق، وعبد الكريم حليم، ومحمد الصباغ، وعبد الفتاح الأزرق، وعبد اللطيف بنحيدة، ومصطفى رسام، وأحمد عبد السلام البقالي، وعلي الصقلي، والعربي بنجلون، ومحمد حمداني، وعبد الرحيم مودن، ومحمد عزالدين التازي، ومحمد أنقار...

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

وثانيا: لأن العطاء المُتسم بالاستمرارية في هذا المضمار عطاء أنثوي، وربما يُعزى ذلك إلى أن المرأة قد أضحت تجد ذاتها وبقوة في هذا النوع الإبداعي، على خلاف بعض التجارب الذكورية التي أعطت الكثير في مَراحل مُحددة، ولكنها لم تضمن لنفسها الاستمرارية، وهنا نُسجل اختلافا بين غايتين لهذا الشكل في الكتابة؛ غاية تجارية تسويقية فرضتها الحاجة في مَراحل مُتقدمة وهي التي استجاب لها الرجل وتوقفت بعدما ظهر التنافس وتراجعت العائدات، أما الغاية الثانية فيمكن وصفها بالوجدانية العفوية، وهي التي استجابت لها الأنثى واستمرت وما تزال، وهو ما لوحظ عند عديد من الكاتبات المغربية شقوا لأنفسهن هذا المجال بتفان ورغبة وثبات.

لقد همت الالتفاتة الأولى التي أنجزنا فيها دراسة ضمن هذا السياق تجربة الكتابة للطفل واليافع لدى نعيمة المدغري وحبيبة شيخ عاطف. وتأتي مقاربتنا هذه في تجربة أمنة برواضي[3] بما يضمن استمرارية قراءتنا، وذلك في أفق التوسعة والاستنطاق الشمولي للمنجز النسائي القصصي المُوجه للناشئة بالمغرب.

في الوقت الراهن أصبحت الدراسة النقدية المُوسعة بعد كل هذا الاتساع والتشعب الذي حققته الكتب لفائدة الناشئة أمرا لازماً ففي السابق "تمت الاستهانة بكتب الأطفال منذ البداية من قبل النقاد والقراء ووصفوها بالطفولية وبأنها تافهة ولحظية، وفي وقت لاحق، ومع اكتسابها بعض التقدم في السياق الثقافي، بدأ النقد يتهافت تجاه هذه الكتب من وجهة نظر الكبار، وليس من وجهة نظر الطفل القارئ، وبشكل عام فإن كتب الأطفال شيقة بشكل لا يمكن التخمين فيه، إنها الكتب التي قرأت فيها أجيال متعاقبة ومختلفة. وأهميتها في تأثيرات تنتج عنها قد تكون طويلة الأمد؛ وخاصة التأثيرات على النمو الشخصي والاجتماعي والمعرفي، فبعض هذه التأثيرات الإيجابية تستحق الإشادة، ولكن ومن ناحية أخرى، فإن بعض التأثيرات الأخرى خطيرة ومدمرة، ويظل المعيار الحاسم في هذه الحالة، هو الحرص على انتقائية المحتوى."[4]

3 أمنة برواضي كاتبة مغربية؛ في رصيدها الإبداعي مجموعة إنتاجات أدبية موجهة للأطفال واليافعين، وضمن ريبرتوار الكاتبة كذلك عدة روايات لعل أهمها: رواية أبواب موصدة، رواية قطرات الندى، رواية أحلام مجهضة، رواية شظايا حارقة، ظلال الخذلان، منعرجات ضيقة.. وآخر أعمالها الروائية بعنوان: ثمة خلل ما، وفي سجلها الإبداعي أيضا قائمة مجموعات قصصية منها: تجاعيد الزمن، متاهة الأيام، صدى الكلمات الجريحة... والكاتبة فاعلة جمعوية وناشطة تربوية مستمرة في الإصدارات للناشئة إلى حدود اللحظة، وقد حصلت عدة استحقاقات وإشادات في مهرجانات مدرسية...

4 Refer: Hisham Muhamad Ismail, Theory and Practice in Language Studies, Vol. 13, No. 3, pp. 593-598, March 2023, P 597

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

وهكذا نفهم أن المحتويات المُوجهة للطفل واليافع سواء عبر القصة أو غيرها من الخطابات قد تكون محملة بقصديتين؛ أحدهما مرغوب فيها، والثانية مرغوب عنها، ولهذا أصبح من الضروري فرز هذه الإنتاجات على ضوء قوانين مُحددة للتلقي وعلى ضوء اعتبارات قائمة تُراعي الخصوصيات السيكونمائية للفئة المستهدفة، ولكن هذا الأمر غير متحقق وتعتريه كثير من الصعوبة، ذلك أن "الصراع الذي يخوضه الكاتب المتخصص في أدب الطفل أعمق وأشق من ذلك الذي يواجه كتاب الكبار؛ فالتحديات داخلية وخارجية. كما تُحمله هذه الكتابة مسؤولية تاريخية خصوصاً في المرحلة الحرجة من تاريخ وطننا وأمتنا ككل. وهي من جهة أخرى تتطلب انفصاماً إرادياً في الشخصية يجعله قادراً على خوض عالم الصغار المعاصرين ثم العودة إلى عالم الكبار؛ إنه يعيش بشخصيتين متمايزين."[5]

وفي هذا الصدد، يُمكننا أن نلفت الانتباه إلى المسؤولية الحتمية التي يتحملها الكبار في تصفية وتنقية مُحتوى هذه الأشياء، للتأكد من أن تلك الكُتب تتوافق مع السياق الاجتماعي والثقافي والمعايير المتوقعة المشتركة في هذا المجتمع." وقد ارتأينا وضع هذا المدخل لضرورتين؛ الضرورة الأولى وهي التأكيد على الاهتمام المُستحق الذي فرضته الإنجازات الأدبية النسائية في الساحة الثقافية للطفل بالمغرب، والضرورة الثانية هي إيضاح المشقة والعناء المُلازمين لهذه المشاريع الكتابية، فهي مغامرة الأقاصي واحتمال في النجاح والفشل.

فلا شك أن "الكتابة الأدبية للأطفال أصعب بكثير من الكتابة للكبار، حيث يُمارسها المُبدع بقدر شديد من الوعي وجُرعة مركزة جدا من التخطيط، ودراسة الخيارات المختلفة، لأجل إنتاج نص إبداعي ناجح يوازن بين القيمي والهدف الجمالي."[6] ومن الضروري تبعاً لذلك وغاية استكناه الثاوي خلف الإبداع القصصي للطفل تحفيز القراءة النقدية بما يتلاءم وتلك المحددات الخاصة.

هذا ما عُني به في هذه الدراسة، من خلال تحليلنا للمكون اللغوي والأيقوني في خمس قصص ألفتها الكاتبة المغربية آمنة برواضي، وكلها تصب في خطية إبداعية واحدة ينصهر فيها التاريخي بالقيمي والوطني بالذاتي، وبما أن للمؤلفة قصص أخرى ومونودراما احتفالية مستهدفة للطفل واليافع، فإن هذه الدراسة رأت أن تقتصر على خمس أعمال تنتظم في إطار موحد[7] وقد تبنت المندوبية السامية لقدماء المقاومين

5 راجع؛ عادل محلو وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، إصدارات رابطة الفكر والإبداع بالوادي، الجزائر، ط1، 2004، ص 20

6 عادل محلو وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، مرجع مذكور، ص 14

7 هي على التولي: قصة موحى أوحمو الزياني، البطل محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال، قصة ملك وشعب "المسيرة الخضراء"، قصة وثيقة المطالبة بالاستقلال-11 يناير 1944-، قصة معركة إيسلي.

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

وأعضاء جيش التحرير هذا المشروع، وضمن منشوراتها برزت أعمال برواضي في حُلة بهية شكلاً ومضموناً وإطاراء وبثمن رمزي كذلك، وأخذاً بهذه الاعتبارات، فإن مواطن القوة كما سنكشف في مقاربتنا لهذه القصص قد تجلت في الاستراتيجية التأليفية التي تبنتها الكاتبة والرؤية الموفقة التي أسست عليها منظورات تاريخية وقيمية تسعى لتأهيل طفل مغربي متشبع بثقافته ووطنيته متشرب لأصالته وقائم بقيمه.

وباعتمادنا لمنظور ثقافي، يَستقي بعض مفاهيمه من السيميائيات الثقافية عند يوري لوتمان، بالطريقة التي قربها الباحث عبد الله بريمي إلى أذهان القراء العرب، وكذا باعتماد المنظور التحليلي للأكاديمي الكندي رودريك ماكجليس Roderick McGillis[8] ذو الخبرة والاختصاص في الدراسة الأدبية والثقافية لكتب الناشئة وقصصهم المصورة؛ نُحاول صلة بذلك مناقشة الإبدالين الخطابيين؛ التاريخي والقيمي في هذه النصوص المتملصة، التي وإن شئنا القول بسيطة بمعيار توجهها للطفل، ولكنها عميقة ومعقدة، عندما يتعلق الأمر بإمداد موقع قرائي نقدي، لأنه يستنفر كل طاقات العمل ويفتحه على آفاق الفحص والتأويل.

وقد يتساءل الباحث عن علاقة المنظور الثقافي بمؤلفات الأطفال، وبهذا الصدد نُشير كما عبر عن ذلك رودريك ماكجليس إلى أن "قبول أدب الأطفال في الدراسات الأكاديمية قد استغرق وقتا أطول إلى حد ما، ولكننا نرى الآن لما أصبح في هذا المضمار أنه يتقاسم المساحة مع مجالات أخرى في الدراسات الثقافية، ودراسات النوع الاجتماعي ودراسات الاتصال.. وربما أصبح من المُحتم الحديث عن أدب الطفل كركن من أركان الدراسات الثقافية العامة."[9]

## 1- الفكرة النواة؛ تمثيل الخطاب التاريخي ونمذجة الصورة

تُمثل الفكرة الإطار العام والنواة التي تتحرك على ضوئها عناصر القصة الأخرى، فنجاح أهداف وغايات القصة للطفل يتطلب استراتيجية واضحة ومميزة في طرح الفكرة التي يتقبلها، إذ يشكل الواقع وخبرة الأديب وطريقة تعامله مع الآخرين، والخيال فضلا عن ذكريات الطفولة رافدا ومصادرا مهمة

8 أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة كالجاري بكندا، أكاديمي وناشط في دراسات أدب الطفل منذ تسعينيات القرن المنصرم، له كتب عديدة ودراسات كثيرة في هذا المجال، يعد أحد أهم أقطاب المعرفة الذين قدموا إضافات نوعية في نقد أدب الطفل...

9 Roderick McGillis, "Literary Studies, Cultural Studies, Children's Literature, and the Case of Jeff Smith," Children's Literature Handbook. Edited by Karen Coats, et al. New York and London: Routledge, 2010: 345-355, P 346

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

يستقي منها الكاتب فكرته.[10] وصلة بفكرة الخطاب التاريخي، فقد حدد الدكتور محمد أنقار في كتابه ذو الأهمية الكبرى "قصص الأطفال بالمغرب" أنواع الخطاب في قصة الطفل بالمغرب، وفي قراءته الشاملة للمُنجز الذي وضعه كإطار تحليلي لكتابه انتهى إلى هيمنة الخطابات التالية: الأول أطلق عليه خطاب القيمة.[11] والثاني سماه خطاب المغامرة.[12] والثالث وضع له عنوان الخطاب الخارق.[13] والرابع وسمه بالخطاب التاريخي.[14] في حين قصد بالخامس الخطاب الشاعري.[15]

وكل خطاب من هذه الأنواع فصل فيها محمد أنقار في فصل مستقل بذاته، وربطاً بهذا الشأن فإن الخطاب القصصي للطفل في مشروع أمنة برواضي يتأسس من خلال خطابين ومن خلال حدثية تفاعليهما، وهما؛ الخطاب التاريخي والخطاب القيمي. ونقصد بالخطاب التاريخي في قصص الأطفال "الخطة الأسلوبية التي من الممكن اعتمادها في إبلاغ الصغار محورا أو أكثر من الموضوع التاريخي. والمعروف أن محور التاريخ قد يكون حادثة أو سيرة بطل..."[16] والقصص التاريخية للأطفال "ترتكز بالأساس على الأحداث التاريخية المتنوعة، وتجعل الطفل يعمل على ترقية شعوره بالانتماء إلى الوطن وتنمي فيه روح المسؤولية والبطولة والإقدام، تعتبر القصة التاريخية مهمة للطفل لأنها تعمل على تنمية الشعور بالانتماء والكرامة الوطنية وأيضا تنمي روح البطولة والفخر عن طريق ما يقرؤونه من سير الأبطال العظام."[17]

1-1 تقديم التاريخ للأطفال واليافعين

إن كل خطة تطمح إلى تقديم التاريخ للأطفال لابد أن تراعي-إضافة إلى الشروط القصصية والعمرية-، مجموعة من المرتكزات الأساسية وقد حددها محمد أنقار، عطفاً على السابق فيما يلي[18]: (أ) يرتبط التاريخ بالزمن، ومفهوم الزمن بالنسبة إلى الأطفال غامض. (ب) يرتبط التاريخ بالمكان، ومع أن مفهوم المكان أكثر وضوحا من الزمن لدى الطفل، إلا أن هذا البعد يظل بدوره غير واضح. (ج) يجد الأطفال

10 راجع؛ محمد حسن برنعيش، أدب الطفل أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص 216-217

11 راجع، محمد أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، ط1، 1998، ص 153

12 محمد أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، مرجع مذكور، ص 183

13 نفسه، ص 221

14 نفسه، ص 253

15 نفسه، ص 285

16 نفسه، ص 154

17 أسيل مهدي ناجم ونوال مهدي الطيار، دور القصة في حياة الطفل (دراسة نظرية)، منشورات مجلة كلية التربية، جامعة واسط، (49)، (1)، 2022، ص 386

18 محمد أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، مرجع مذكور، ص 253

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

صعوبة بالغة في إدراك مفهوم حركة التاريخ. (د) إن وقائع التاريخ وحوادثه لا تقع تحت خبرات الطفل مباشرة. (هـ) إن الوقائع والحوادث تتميز بتشعبها. ولاستيعاب هذه المرتكزات بغية تجاوزها، حددت الباحثة ليلى الدباغ مجموعة من العناصر التي يجب أن تتوفر في القصة المعتمدة على التاريخ وقد ذكرت منها[19]:

- ضرورة استناد قصة الطفل إلى نواة تاريخية حقيقية وأن يعمل الكاتب على تحليل تلك النواة إلى الأفكار الرئيسة والشخصيات التي يراد تحريكها.

- أن يحدد الكاتب قبل صياغة القصة الصور التي يمكنه بها تقريب تلك الأفكار إلى الأطفال. ويبدأ القصة القصيرة بالتمهيد.

- تحديد الإطارين الزماني والمكاني لموضوع القصة، وتقريب مفهوم البعد الزماني إلى ذهن الطفل عن طريق ربطه بعمر الطفل نفسه.

- تقديم وصف للمجتمع في البيئة التي يعالجها الموضوع التاريخي، وتوضيح الشخصية في الإطار الوصفي.

- أن يفصل الكاتب نسبيا في المواقف التي يراد التأثير فيها، مع شحن الأسلوب بطاقات عاطفية. وأن تكون المعلومات المقدمة للأطفال في القصة زاخرة بوصف مسهب ودقيق.

- أن يكون الأسلوب اللغوي حيا جذابا ومشوقا وأن ترافق متن القصة صور ورسوم وأشكال.

إن المتأمل لخطة التأليف عند أمنة برواضي يستشف وعي الكاتبة بكل هذه الشروط البنائية لأجل توظيف التاريخ، فمن خلال القصص الخمس، ينبعث فعل القص دائماً من نواة تاريخية حقيقية، وهذا الاستلهام التاريخي تلعب فيه شخصية الجد الحاج علي دورا هاماً في رسم المعرفة وفتح الأفق التنويري، وعلى هذا الأساس تجعل الكاتبة لدى الطفل من خلال مُتخيل سرودها إصراراً لمعرفة تاريخ وطنه وأمجاده. "نعم يا صغاري حكايتنا اليوم كما سبق واتفقنا على ذلك في مثل هذا اليوم من الأسبوع الماضي؛ عن البطل موحى أوحمو الزياني ومعركة الهري."[20]

19 ليلى الدباغ، كتابة تاريخ الوطن العربي على مستوى الأطفال، نقلا عن: هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه ووسائطه، سلسلة دراسات، عدد 127، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، 1978، ص 180-181

20 أمنة برواضي، موحى احمو الزياني، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المغرب، ط1، 2022، ص 16

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

ترى الباحثة الأمريكية Melanie Debra Koss[21] في هذا الإطار أنه "ومن خلال أدب الأطفال؛ يتلقى الأطفال رسائل ثقافية وقيم المجتمع الذي يعيشون فيه ومعلوماته، وفي هذه الحالة، يتفاعل الأطفال مع هذه الرسائل، ويكونون تصورات عنها."[22] وهكذا فإن الكاتبة أمنة برواضي تعمل على إنجاح تلك الرسائل الثقافية، وغالباً ما تُحاول في قصصها أيضاً تَوضيح الشخصية التاريخية ضمن إطار وصفي وذلك دونما إخلالها بالتوازنات المطلوبة والمتكافئة بين المادة التاريخية والمادة القصصية، وهذه مُعادلة مُشفرة تقتضي بعض البراعة والإتقان؛ وهذا ما نلحظه في سياقات مختلفة، ونقرأ من قصة موحى أوحموا الزياني مثالا: "بداية، لابد من تعريف لهذا البطل لنكون صورة واضحة عنه. موحا احمو الزياني من مواليد 1859م من منطقة "أدخسال" ضواحي خنيفرة، كان والده من أعيان زيان بمعنى أحد رجالاتها الذين كانوا يحظون بمكانة خاصة لدى القبيلة. لقد كان بمثابة قائد لها."[23]

هذا ويغلُب على المستوى المضموني والإيديولوجي لهذه الأعمال القصصية نمطاً إبداعياً قوامه التفكير في الخط الوطني، فمن خلال تلك العلاقة التواصلية بين الجد والأبناء، يتم بناء جسر بين الجيلين، للتعرف على التاريخ وتجاذب أقاويل وأحاديث الأحداث الوطنية والشخصيات البارزة، ومن قصة ملك وشعب "المسيرة الخضراء" نقرأ: "كان الجد بالإضافة إلى شغفه بتاريخ بلاده، يحب أن يجمع حوله الصغار، ويبدأ في سرد تلك الأحداث من التاريخ؛ رغبة منه في أن يرسم في أذهانهم تلك اللوحات البطولية بألوان زاهية تجعلهم يحبون بلادهم أكثر، ويخلصون لها ويدافعون عنها بكل غال ونفيس."[24]

ومن جهة أخرى فإن الحكي ينساب في تناوُب بين شخصيات الصغار "نضال، ياسين، جيهان، أيمن..." وشخصية الجد والسارد في هذه القصص الخمس، وذلك بنفس المنطق المضموني السّاعي إلى تمثيل التاريخ الوطني والهادف إلى ترسيخه في عقول الناشئة؛ مبعث فخر واعتزاز وانتماء وطني، أما وأحايين أخرى فيأخذ هذا الحكي شكل الاستئناس التاريخي الحر الهارب من لحظة القصة وحدودها النظامية

---

[21] الباحثة الأمريكية ميلاني كوس كاديمية تدرس الدراسات العليا في تخصص أدب الأطفال واليافعين، وتهتم بتعميق البحث في قضايا التنوع وفنون اللغة في أدب الأطفال، وفنون اللغة، وطرق استخدام أدب الناشئة مع متعلمي اللغة الإنجليزية في علاقة ذلك بالعلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات...

22 Koss, M. D. (2015). Diversity in Contemporary Picture books: A Content Analysis. Journal of Children's Literature, 41(1), 32-P 42

23 آمنة برواضي، موحى احمو الزياني، ص 16

24 أمنة برواضي، قصة ملك وشعب "المسيرة الخضراء"، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المغرب، ط2، 2021، ص 10

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

والشكلية، ونظير القول نقرأ من قصة محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال: "كانت قوة الإيمان بالقضية هي التي تحركه ومن معه، كانت رغبته عارمة في إعادة نسيم الحرية ليهب من جديد على أعالي جبال الريف بعد أن خنقها وقيدها طغيان الاستعمار بجبروته وظلمه، لم يكن يقبل أن يعيش أبناء وطنه الأحرار تحت أقدام المستعمر. وهنا أشار الأستاذ إلى تلك الهزيمة الشنعاء التي تلقتها المستعمر الاسباني على يد قائد المقاومة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي في معركة أنوال."[25]

إذا ما أطلنا النظر في الفكرة النواة التي تُعد مُنطلق الكاتبة في أعمالها، يخلُص القارئ إلى أن الإمساك بالفكرة التاريخية كان هو الهاجس الإبداعي، ولكن إحالتها إلى مادة قصصية يستسيغها الطفل، فذلك هو الهاجس الفني، وما بين التفكير الإبداعي والفني، كانت برواضي تبحث في مسافات جمالية لتكتب كما ينبغي للطفل: "اسمع يا ولدي تفاصيل الأحداث: في 16 من أكتوبر 1975م خطب الملك الراحل في شعبه قائلاً: "لم يبق شعبي العزيز إلا شيء واحد؛ علينا أن نقوم بمسيرة خضراء من شمال المغرب إلى جنوبه ومن شرق المغرب إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه..." لم يرغم أحدا على التطوع، كان كل شيء برغبتهم وبدافع الوطنية التي غرست في أعماقهم. وبدأت الوفود تتوافد على المكاتب من أجل التطوع في المسيرة الخضراء التي أعلن عنها ملك البلاد."[26]

بيد أن هذا المروي التاريخي، يَميل في مرات إلى أشبه بالسرد التاريخي المُسهب الذي قد يُنفر ذائقة الطفل عوض أن يحببها في المادة المعروضة،[27] فمعلوم أن سعة الإدراك المعرفي للطفل واليافع قد لا تتسع لكل التفاصيل التاريخية، "فإذا كان يُشار إلى أدب الطفل بوصفه جنسا أدبيا مستقلا، فذلك على أساس أنه صنف متميز من النشر له تقاليده المميزة التي ترسخ توقعات محددة لدى قرائه."[28] ولكن المؤلفة كانت بقصد أو بلا قصد ترفع سقف هذا التوقع لدى قارئها، ويُعزى ذلك فيما يبدو إلى الصعوبة البالغة في تطويع المرجعية التاريخية وتكييفها وفق ما يخدم استراتيجية القصّ النّفعي للناشئة. وفي قصة محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال تبينا لهث الكاتبة وراء القول ورغبتها في إفراغ كل الشحنة التاريخية للموضوع، إذ طرحت تفاصيل أكثر هامشية "حتى المرأة الريفية كانت تقاوم من عقر بيتها؛ تربي أبناءها

25 أمنة برواضي، البطل محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المغرب، ط1، 2019، ص 11

26 آمنة برواضي، قصة ملك وشعب "المسيرة الخضراء"، ص 23

27 يُنظر للصفحات 20-26

28 كيمبرلي رينولدز، أدب الأطفال، مقدمة قصيرة جدا، ترجمة ياسر حسن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص 85

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

على حب الوطن والذود عنه، تطبخ الخبز الكافي لترسله إلى الجبال حيث يرابط المقاومون..."[29] إن هذا أمر مستحسن سيعود بالفائدة المعرفية على الطفل، ولكن قالب القصة للطفل وشروطها البنائية والشكلية قد تتنافى مع توجه الحكي الانسيابي، فبعض الضوابط المطلوبة في تشييد القصة للطفل، فيها الاختزال والتكييف.

أ – القصة في مُعادلات نقض الاستعمار وبناء الهوية الوطنية

لن يتباين الموقف عند أحد في مسألة مفادها أن "ثقافة الطفل هي أساس عملية التنمية الشاملة التي يتباهى بها كل مجتمع لأبنائه من أجل تطوير معارفهم وإطلاق قدراتهم، يجب أن يكون أساس هذه القراءة التخطيط الواعي والشامل والتنسيق المُتكامل بين جميع أجهزة الدولة ومؤسساتها المعنية بالطفولة من رياض الأطفال ومدارس ومكتبات حتى تُحقق الأبعاد المرجوة على المستوى التربوي والاجتماعي."[30]

إن هذا التضافر على مستوى التنسيق بين جميع المُكونات لتحقيق الأهداف المتوخاة من مَلامح الطفولة والشباب والتي ترسُمها السياسات الحقوقية والوطنية، يُعد أحد أهم المداخل المُمكنة لتعويد الطفل على التربية الوطنية والتسلُّل إلى وجدانه كرافعة للنهوض بالقيم وتحقيق الهمم، ولهذا فقد أخطأ من اعتقد أن الوطن مُجرد معنى مطروح في الطريق، أو مجرد مُصادفة غير يقينية؛ "لم يكن الوطن مجرد كلمة تقال، أو صورة عابرة في أحلام الطفولة، وإنما هو البيت الدافئ والحديقة الجميلة، التي يترعرع فيها الأطفال، وتكبُر فيها ضحكتهم البريئة، وتَستمر الصورة تتفاعلُ في نفوسهم إلى أن يصبح الحُلم حقيقة، والصورة واقعاً ينبض بالحياة والسعادة والأمل."[31]

وربطاً بهذه العلاقة الوطيدة التي تنشأ وجدانياً عند الطفل إزاء مفاهيم الوطن والانتماء، فقد كان لزاماً اقتيادُ هذا الطفل إلى ماضيه في خُطة تجسير بحاضره الذي سيرسم له معالم مستقبله، ومن هذا المُنطلق العائد بحركة فقد سَعت القصص ذات التوجه التاريخي بالخُصوص إلى إضاءة الماضي وإعادة صوغ إشراقته من جديد حتى تكون انطلاقة وطنية لجيل جديد تضع في اعتباراتها تاريخها الوطني وحاضرها

29 أمنة برواضي، البطل محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال، ص 29

30 بن معمر بوخضرة، الأبعاد التربوية والاجتماعية في أدب الطفل، مجلة الفكر المتوسطي، الجزائر، عدد 11، يونيو 2016، ص 26

31 مرزوق بدوي، الهوية والانتماء في قصص الأطفال في الأدب الفلسطيني الحديث، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، نابلس، فلسطين، المجلد 27، (3)، 2014، ص 444

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

ومُستقبلها، وكما يعبر عبد الله إبراهيم عن هذا الأمر "فإن وجود الماضي في قلب الحاضر يكون مهما بمقدار تحوله إلى عبرة للتأمل، وتجربة داعمة للمعرفة."[32]

وهكذا فإن تجليات هذا التشخيص لصُورة الماضي، قد تعددت أنماطها في الصوغ القصصي لدى أمنة برواضي، ولكنها تجليات، قد لُوحظ أنها اقتصرت فقط على تمثيل البطولات والفَلاحات، واغتنمت كل فُرصة حَرف لتجلية الانتصارات، ولم تُجسد في المقابل للانتهاكات الامبريالية وعُنف الصورة التي سَوقها عنا المُستعمر إلا فيما قل من الحروف، فمثلا يحدُث أن تُحدثنا على لسان الراوي عن الاستعمار الغاشم وطمعه في خيرات البلاد، وتنتهي بُرهة لتستأنف الحديث الطويل عما فعل رجالات الوطن وعن تضحياتهم الجسام؛ لعل هذا الأمر بدهي ومحمود، وهو ما يفعله جميع كتاب القصة التاريخية والوطنية، حينما يكون المُخاطب هو الطفل واليافع، لأنه مُخاطب من نوع خاص، تكون له خصائص دقيقة جداً يجب مراعاتها، ولهذا يسترعى اهتمام أي كاتب لقصة الطفل هذا الهاجس الإبداعي الذي يحكمُه قانون اللا تجاوز والحرص واليقظة، فذاكرة الطفل مُتلهفة ومُتعطشة تلتقط في عالم الصغر ما يبقى كالنقش في الكبر.

إن الطفل في العادة تحمله القصة -كما هو الشأن هنا في إنتاجات أمنة برواضي- على صُورة التعافي، لهذا وكما عبر عن ذلك ماكجليس "تهدف مرحلة ما بعد الاستعمار إلى إعادة التفكير والتعافي وإعادة البناء العرقي والثقافي، فتفكك الغرب في سرديات ما بعد الاستعمار، هو تفكك لهياكل المعرفة أيضا، وعالم ثقافي جديد يجب أن يضع الحدود مع الحياة الاستعمارية."[33] وإذا كان بالأحرى على قصة الطفل التاريخية أن تخضع لمنطق الثنائيات؛ استعمار ومُقاومة، حياة وموت، الداخل والخارج، الهامش والمركز، فإن تقليب صفحات التاريخ على أساس من الزعم للاستكمال المعرفي عند الطفل أمر قائم في مجموع الإنتاجات القصصية لعدد من الكتاب ومنهم الكاتبة برواضي، نقرأ نظير القول: "هل تعرفون ما كتبه المؤرخون عن البطل؟ لقد وصفه مؤرخ المملكة عبد الحق المريني: بـ "الجندي الماهر، الفارس المغوار، ومحرر الأطلس المغربي الكبير."[34]

---

32 عبد الله إبراهيم، عبد الله إبراهيم، التخيل التاريخي، السرد والامبراطورية والتجربة الاستعمارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2011، ص 5

33 Refer: Roderick McGillis "Voices of the other, Children's Literature and the Postcolonial Context", Routledge, New York, 2000, Chapter I: Rethinking the Identity of Cultural Otherness: The Discourse of Difference as an Unfinished Project ShaoboXie.

34 أمنة برواضي، موحى احمو الزياني، ص 27

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

ويُستقى من خلال قوة الاحتفاء بكل علامات الوطنية ورموز الانتماء وأنماط الهوية الثقافية، وأحداث التاريخ، أن تأثير أدب ما بعد الاستعمار بدا لافتاً أيضا في مدونة القصة للطفل وأجناسيته، وقد وصفه كونراد "بتأثير حيوي يسعى إلى خلق فضاء جديد متحرر."[35] وفي دراسته بعنوان: "أصوات الآخر، أدب الأطفال وسياق ما بعد الاستعمار".[36] نجد رودريك ماكجليس يؤكد بأن أدب الطفل خلال ما بعد الاستعمار تنكشف فيه سياسة تنبني على الاعتراف بضرورة مواجهة الماضي الاستعماري، والاعتراف كذلك بواقع الارتباط المعقد بالاستعمار الجديد.[37] "أنتم يا أبنائي جيل يقضي وقته أمام شاشة التلفاز والحاسوب والهاتف المحمول، فكيف تريدون من الذاكرة أن تشحذ وتبقى قوية وتتذكر الأحداث الصغيرة قبل الكبيرة."[38]

وبعودتنا إلى التصورات النقدية لماكجليس وتطبيقاتها على آداب الطفل الغربية، نجده يحدثنا عن سيناريوهات كثيرة "في كتب الأطفال وعن احتمالات أخرى لأن يتجلى فيها الاستعمار الجديد."[39]، ويقصد ماكجليس استعمار الصورة للغة، واستعمار الإيديولوجيا للقيمة، وفي ظل هذه الرقابة التي لا تتشدد في هذا الإطار، نجد القصص تُحدث الطفل عن الاستقلال والوطن وبناء الأمة، ولكن في سياق منتوج مقروء، لم يتحرر بعد من مفاهيم تابعة للكولونيالية، سواء على مستوى تلقي الرسومات، أو على مستوى الخطابات الخفية والأنساق المُضمرة التي تتسلل إلى هذه المُنجزات في صورة تتستر وتتوارى، ولهذا فإن القصة الوطنية في مُعادلة نقض الاستعمار وبناء الهوية الوطنية عليها أن تتشجع بالتراجُع عن كل علامات الغزو الأجنبي والتمسك بالتُراث والأصالة ابتداء من الفكرة وحتى الإخراج؛ لغة وصورة وورق ورسومات وطريقة وكيفية... إن هذه الحسابات التي تبدو غير منطقية في بعض الأحيان، تُصبح بالمنظور السيميولوجي ذات أبعاد قصوى.

35 إدريس الخضراوي، "السرد موضوعا للدراسات الثقافية": نحو فهم لعلاقة الرواية بجدلية السيطرة والمقاومة، مجلة تبين، قطر، عدد 7، 2014، ص 122

36 Refer: Roderick McGillis "Voices of the other, Children's Literature and the Postcolonial Context", Routledge, New York, 2000

37 Ibid, P 11

38 أمنة برواضي، قصة ملك وشعب "المسيرة الخضراء"، ص 27

39 Refer: Roderick McGillis "Voices of the other, Children's Literature and the Postcolonial Context", Routledge, New York, 2000, P 24

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

وفي الحقيقة، يجب الحذر وأخذ كل التفاصيل محمل الجد عندما يرتبط الأمر بتأليف قصة للطفل، لأن الإشكالية الكُبرى التي تُلاحق أدب الطفل اليوم هي إشكالية مؤسساتية، أو بعبارة أكثر دقة؛ نتساءل اليوم عن أدب الطفل أباعتباره مؤسسة أدبية لها قوانينها وأنظمتها وفلسفتها، أم باعتباره مجرد جهود واجتهادات متفرقة لم تتوحد بعد أو تضع لنفسها أفقا مؤسساتيا، أجدني في هذا السياق في لمقال أعده باحث من أوزبكستان اسمه Ubaydullayev Ilhomjon[40] بعنوان أهمية أدب الأطفال، نجد هذا الكاتب قد أفرد اهتماماً كبيراً لمنطوق هذه المشكلة، وقد استنتج وفقا لبحثه قائلا: "في الواقع، فإن إضفاء الطابع المؤسسي الحالي على أدب الأطفال على المستوى الدولي قد سار على هذا النحو بعيدا، كما يشعر البعض، إن له دينامية أساسها العفوية والافتقار إلى الوعي به كمؤسسة أدبية."[41]

2-1 الحكاية التاريخية والتنمية المعجمية

يعرف الجميع أهمية القراءة منذ الطفولة الأولى المبكرة، لذلك يسعى الجميع إلى تمهير الأطفال على هذا الاحتكاك بالمقروء، وفي طليعة الحاجيات البيداغوجية التي تتلاءم ورغبة الطفل في تلك المرحلة، سجلت الأبحاث أهمية القصة والحكاية الشعبية والتعاويد الشفهية في تمتيع ذهن الطفل وإشباع حاجيات مخياله الذي يتشبع من الكبار ومن المحيط، فلا شك إذن بأن "قراءة القصة في سن مبكرة من العوامل المساعدة في النمو اللغوي للطفل، وفي تكوين شخصيته."[42]

ومعلوم أن هذا التأثير لا ينحصر فقط على ما هو لغوي أو معجمي، ففي الحقيقة فإن قصة واحدة كفيلة بأن تغير سلوك طفل على نطاق واسع، وتؤثر في عالمه النفسي، ففي مقال انجليزي لباحث بحريني اسمه هشام محمد إسماعيل[43] بعنوان أدب الأطفال: الأهمية والتأثيرات الأخرى Children's Literature:

---

[40] مدرس كرسي التعليم المبكر، جامعة ولاية أنديجان، أوزبكستان..

41 Ubaydullayev Ilhomjon, The Importance of Children's Literature, Pindus Journal of Culture, Literature, and ELT, Volume 9, September-2021, P 38

42 أسيل مهدي ناجم ونوال مهدي الطيار، دور القصة في حياة الطفل (دراسة نظرية)، منشورات مجلة كلية التربية، جامعة واسط، (49)، (1)، 2022، ص 386

43 أستاذ مساعد للأدب الإنجليزي في الجامعة العربية المفتوحة - مملكة البحرين ورئيس قسم الأدب الإنجليزي، زميل أكاديمية التعليم العالي في المملكة المتحدة. يملك أكثر من 20 عاماً من الخبرة في المجال الأكاديمي والتطوير المهني. يعمل على تطوير قابلية التوظيف للمهارات لدى خريجي الجامعة العربية المفتوحة ويهتم بموضوع التحول التكنولوجي خلال فترة ما بعد الجائحة، ومن اهتماماته البحثية أيضا؛ الأدب العرقي، وأثر العوائق النفسية في اكتساب اللغة، والقيادة التربوية...

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

The Significance and Other Impacts قد أكد في خلاصاته وتوصياته بأن "قيمة كتب الأطفال تتجلى في تأثيرها الواسع والملحوظ على جوانب الأطفال السلوكية، والنفسية، والثقافية، والمعرفية."[44]

من الضروري جدا أن "يهتم النقد اللغوي في قصص الأطفال بفصاحة الألفاظ وسلامتها من الخطأ وضبطها وسهولتها أو صعوبتها وعلاقتها بالبناء القصصي."[45] لأن الطفل يبني مدخلا للتعلم من خلال هذه القصص ويخلق جسورا تفاعلية بين ما يكتسبه في مُحيطه المدرسي وما يتعلمه ذاتيا من خلال اطلاعاته واستئناسه القرائي، وعليه بدا واضحا أن الانتباه للغة يأخذ حيزه الأوفر في الإنتاجات القصصية للأطفال، وإذا كان النقد اللغوي موكول له مهمة الحفاظ على هذه السلامة، فلأن الغاية هي بناء تحصيل معجمي سليم، يُوسع الرصيد الاصطلاحي والمعرفي في عقول الأطفال بالكيفية الصحيحة.

ترمي الكاتبة أمنة برواضي من خلال هذه النماذج القصصية الخمسة أن تجعل في كل قصة تُروى فرصة كذلك لبناء تنمية مُعجمية لدى الطفل وتأهيل مستوياته القاموسية، فإذكاء هذه العملية تم دائما من خلال الأسئلة التي يطرحها الأطفال على الجد حينما لا يفهمون كلمة أو اعترى عموض ما قوله: "يقاطعة ياسين سائلا: ما هو البرنوس يا جدي ؟ يجيب الجد: البرنوس أو السلهام يا أبنائي هو لباس تقليدي في منطقة الشمال الإفريقي، مصنوع من الصوف يضم غطاء رأس مذبب وليس له أكمام."[46] وهكذا إذن فكل سؤال من الأطفال يُقابله جواب من الجد في سبيل ما يثري المعرفة المعجمية والحصيلة الاصطلاحية والمعرفية بشكل عام، وأمثلة هذا الأمر كثيرة من خلال هذه القصص "نضال: جدي ماذا يقصد بالمغرب النافع؟[47] "ياسين سائلا: جدي ما معنى تكالبت؟ الجد: معناها، اجتمعت واشتدت قوة وازدادت تهافتا للسيطرة على المغرب."[48]

تسعى هذه القصص إذن، وبمدخل الشرح المعجمي إلى توسِعة إدراك الطفل وإذكاء يَقظة السُّؤال لديه، "يُقدم المُعجم معنى ودلالة الكلمة وذلك بتعريفها وشرحها بالأمثلة والشواهد أو بالصور، التي تُوضح المَعنى وتقربه إلى الذهن، فيربط الطفل بين الأشياء ومسمياتها، فيتمكن من التعرف على الجانب

---

44 Hisham Muhamad Ismail, Theory and Practice in Language Studies, Vol. 13, No. 3, pp. 593-598, March 2023, P 595

45 راجع: محمد أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، ص 38

46 أمنة برواضي، موحى احمو الزياني، ص 18

47 آمنة برواضي، موحى احمو الزياني، ص 18

48 أمنة برواضي، وثيقة المطالبة بالاستقلال-11 يناير 1944- منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط2، 2022، ص 26

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

الدلالي للغة ومعرفة استعمال الكلمة داخل السياق الذي ترد فيه واختلاف المعنى باختلاف السياق."[49]

"على إثر انهزام المغرب في معركة إيسلي وقع معاهدة للا مغنية مع فرنسا بتاريخ 18 مارس 1945، فيصل سائلا: لماذا سُميت المعاهدة بهذا الاسم ؟... لأنها تمت بمدينة مغنية الجزائرية لذلك حملت اسمها."[50]

حَرِصت الأستاذة أمنة برواضي بفنية سردية عَالية على تضمين هذه التقنية القائمة على سؤال جواب بين الجد المانح للثراء الثقافي والمعجمي من جهة، والطفل الراغب في المعلومة والإيضاح من جهة أخرى، "وفضلا عن كل ما يقدمه المعجم من معلومات فإنه يساهم بشكل كبير في تنمية المهارات اللغوية للطفل، لا سيما مهارة الكتابة والقراءة والتعبير، حيث يكتسب الطفل ألفاظا جديدة يستعملها فب تعابيره المختلفة، كما أن المعجم يضم مفردات اللغة ويمدها بشكل تراتبي يتوافق مع المراحل العمرية للطفل وقدرته العقلية في الاستقبال والفهم والاستيعاب"[51]، لننظر في هذا السياق برؤية المؤلفة كيف يشرع الجد الراوي في إفهام الأطفال معركة الهري التاريخية "توقف الجد قليلا ثم أضاف: سأنتقل بكم إلى أهم انتصار حققه المقاوم موحى أوحمو الزياني على المستعمر الفرنسي حيث أذاق العدو شر هزيمة. وقع ذلك في معركة "الهري" يا أبنائي التي خاضتها قبائل زيان ضد الاستعمار الفرنسي وكان ذلك يوم الجمعة 13 أبريل 1914 م في قرية "الهري" التي تقع جنوب مدينة خنيفرة، وكانت هذه المعركة جزء من حرب زيان التي قادتها القبائل الزيانية لمقاومة التوسع الفرنسي الجشع داخل التراب المغربي والتي انتصر فيها الزيانيون بقيادة بطل الأطلس موحى أوحمو الزياني ضد القوات الفرنسية."[52]

تفتح قصص برواضي آفاق التحصيل المعجمي على القراءة، وليعتبر الطفل من مضامين القصة، فهي كثيرا ما تُوصل رسائل القراءة وتحثُّ عليها ، وهذا جانب من الالتزام والمسؤولية الذي تراه المُبدعة ضرورياً، فليس الالتفات إلى الحكاية وحدها من صميم العمل للطفل، بل الإنصات لحاجته في الدعوة والتوجيه والإرشاد، وقد يكون من الأفيد تمرير رسائل من هذا القبيل؛ رسائل القراءة، رسائل المُطالعة الحرة، نقرأ من قصة موحى احمو الزياني ما يفيد قولنا، فهذه الخالة تخاطب في الابن قائلة: "إذا كنت ترغب في معرفة

49 حواء بيطام، نحو بناء معجم للطفولة، دراسة في القاموس القصصي وانعكاساته على الطفل، مجلة نتائج الفكر، المجلد 5، عدد 2، الجزائر، 2021، ص 166

50 أمنة برواضي، معركة إيسلي، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط1، 2022، ص 13.

51 حواء بيطام، نحو بناء معجم للطفولة، دراسة في القاموس القصصي وانعكاساته على الطفل، ص 167

52 أمنة برواضي، موحى احمو الزياني، ص 26

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

الكثير عن الرجل الذي قاوم في جبال الريف، ستجد في هذه الرفوف كتباً تحمل بداخلها كل المعلومات عنه، وعن الأحداث العظيمة التي مر بها المغرب، وعلى رأسها المقاومة المغربية للاستعمار."[53]

3-1 تجسيد الخطاب التاريخي؛ الصورة بين القصدية الجمالية والإيديولوجية

لمُقاربة المستوى الفني والسيميولوجي؛ أي الاشتغالات الأيقونية ورهانات الخطاب البصري في هذه النماذج القصصية، فقد سَعينا إلى إدراج عينة، فمن زاوية سيمياء الثقافة اللوتمانية تُعتبر الصور وكافة الأشكال الأيقونية أكواناً سيميائية مُمتلئة تُشغل طاقات معرفية وتتورط في مرجعيات ثقافية مُعقدة، وفك شيفرتها يقود حتماً إلى بناء مضمون دال، أو بعبارة أخرى إنتاج نص آخر؛ نص قد يحمل طابع المُماثلة أو المُغايرة مع ما تُقدمه الدوال اللغوية في القصة، ولأهمية الصورة أو الرسم الصورلوجي إذن في قصة الطفل فقد "عمدت كثير من الجهات إلى تطوير إخراج كتب الأطفال ومجلاتهم فأحلوا الشكل مقاما لائقا به وجذابا من حيث نوعية الورق والألوان وإعطاء الصورة مجالا أوسع.."[54]

إن المسألة الهامة بهذا الصدد التحليلي ليست هي الصورة في غايتها، أو الأيقونة في حد ذاتها، وإنما ما وراءها وما تعمل على أن تحجبه، ذلك أن "الأسنن البصرية لا يمكن أن تؤثر على الأطفال إلا على أساس قصدية إيديولوجية مبثوثة في فراغات الأيقونة ومسافاتها الجمالية وألوانها المصورة فإيديولوجيا الصورة لها حضورا فعالا في قصص الأطفال المصورة التي استعانت بإيقونات مؤدلجة غير مباشرة متقنعة بالجانب الجمالي."[55]

الإشكالية الفنية التي يطرحها أدب الطفل في العادة، ولا سيما ما يستعين بالصور والرسومات، هو انعدام التنسيق بين المؤلف ومنفذ الرسم أو الصورة، وهذا يسبب أحيانا في اعتباطية غير مدروسة وتفتقر لمعالم الانسجام، وفي تقديرنا أن تدخلات الناشرين في هذه الأمور بعض الأحايين لا تنجح، أما الكاتبة برواضي فقد أحكمت التناسق بين خطاب اللغة وخطاب الصورة، سواء أكان ذلك باتفاق مع منفذ الرسومات بدر السنوسي أو بدون اتفاق معه، أو باجتهادات خاصة من الجهة الناشرة.

والأهم من هذا فإن "جمالية الأيقونة وما تتغنى به من جمال الألوان الزاهية والمثيرات والمؤثرات البصرية إذا لم تؤثر في قناعة الطفل وتمارس دورا رئيسيا في تغيير وتبديل سلوكه فإنها لا يمكن أن تصنف

53 أمنة برواضي، البطل محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال، ص 17

54 عادل محلو وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، مرجع مذكور، ص 18

55 محمود خليف الحياني، سيميائية الصورة البصرية في قصص الأطفال، الاستراتيجية والتكنيك، دار غيداء للتشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2017، ص 11

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

ضمن الأيقونة التي تنطلق من استراتيجية تحاول أن تقنع الطفل وتتواصل معه لكي تحدث التغيير المطلوب، فباعث استراتيجية الأيقونة يكون في تغيير سلوك أو موقف الطفل من الحياة والمجتمع لأن الاستراتيجية التي تحاول ايصالها قصص الأطفال بصورة عامة تتبلور في نواحي تعليمية وتعريفية وتربوية وجمالية وأخلاقية ومعرفية تساعد على بناء شخصية الطفل."[56]

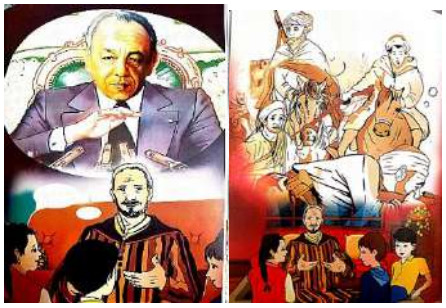

في هذه الرسومات المُصاحبة، صورة أولى تضعنا أمام تخيل ذهني لمعركة بواسطة التخمين العَالي للأطفال، وفي الثانية صورة لجلالته المغفور له الحسن الثاني في صورة للذكرى، وفي الوضعيتين معا، يتم حمل الطفل على بناء ذهني من خلاله يُجسد اكتمال المعنى بربط ما يقرأه لغة في صلته بما يراه صورة، ذلك أن اكتمال المشهد أمر لازم في التعبير عن موقف أو قيمة ، ولأهمية الصورة في قصص الأطفال فقد عمل الباحثون على أن تكون هناك فوائد وأهداف لهذه القصص المصورة[57] أما فوائد الكاتبة في وضعيات كثيرة هي غرس قيم الوطنية وتحفيزهم على التمثل والاقتداء، وبناء الشخصية الوطنية من خلال معطيات حسية-وجدانية وإدراكية.

بتأمل الصورتين، نكتشف تنازُعهما على مُستويين؛ المستوى الجمالي (الورق، الألوان البهية، الإطار، تلاعبات فنية وتشخيصية، مناورة في الأبعاد...) والمستوى الإيديولوجي (التاريخ، الوطن، التراث...) وإزاء هذا التعارُض الاثناني بين المستويين تتفجر الصورة بدلالات النضج الثقافي، فالمستوى الأول يجعلها أكثر حداثة، أكثر قربا والتصاقا بما يتقبله الطفل ويسعد به، والمستوى الثاني يجعلها أكثر أصالة، أكثر نفعية بما يبرر مآرب الكاتب وتوجهات المنحى القصصي بشكل عام. ومما لا شك فيه ونحن بصدد كشف البناء

56 محمود خليف الحياني، سيميائية الصورة البصرية في قصص الأطفال، الاستراتيجية والتكنيك، مرجع مذكور، ص 92

57 يمكن تعداد أهم هذه الفوائد بالعودة لـ: محمود خليف الحياني، سيميائية الصورة البصرية في قصص الأطفال، الاستراتيجية والتكنيك، ص 53-54

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

الثقافي لبعض الصور القصصية أن "الصورة في قصص الأطفال لم تعد تنطوي على البراءة والتلقائية والاعتباطية التي كنا نراها في القصص القديمة."[58]

وقد يبدو انتفاء تلك البراءة والتلقائية والاعتباطية بادياً في كثير من الرسومات، التي تهادن الفكرة المؤدلجة وتسعى إليها بشغف باستثمار كل ما هو ممكن فنيا وشكليا؛ من ممكنات طباعة وألوان وتفاعلات إطار وزوايا الالتقاط، وفلسفة إبانة ذلك كله. "وفي مقاربتنا لإيديولوجية الأيقونة في قصص الأطفال نتلمس فضاء جديدا من التعامل مع لعبة الألوان ونحوها وطريقة تنظيمه لكي تصل شيفرتها ويحلها الطفل على أساس سلوكي أو تعليمي."[59]

وعلى المرأى هنا تبرز قوة اللون وفلسفته، وقوة الشكل وأهميته، في التميز كما في الصورة الأولى على اليسار بين حالتين زمنيتين؛ حالة الماضي المتخيلة التي تقود إليها الذاكرة والتخيل خلال بسط الحكاية وهي التي تمت تزكيتها برسم وشكل ولون يتلاءم وهذه الحركة العائدة إلى الماضوي، أما الحالة الثانية فهي حالة الحاضر الآني الذي يجمع الجد بالأطفال وهو يحكي لهم، وهي حالة مميزة بما يتناسب وتعبيرها عن الحاضر كذلك؛ إن الصورة هنا ترسم تكامُلاً بين زمنين اثنين، وهو ما يُسهل التلقي والفهم والإفهام لدى طفل له مُحددات إدراكية.

أما الأيقونة الثانية المشخصة لحدث معركة بطولية ترفرفت فيها الأعلام المغربية لتبيان قوة الإنسان الوطني المغربي الغيور على بلاده، واستعداده الدائم تقديم الغالي والنفيس في سبيل هذا الوطن، فهي بذلك "تكشف لنا أيديولوجية الأيقونة التي استجاب لها الطفل بصريا بأنها تحتفي القيم والمعاني الإنسانية التي تُريد إيصالها إلى الطفل، فالأيقونات والصور تُحاول عن طريق الألوان الزاهية أن تُقدم لنا أجمل تمثيل لعملية الانزياح عن الواقع، لأنها لا تقول أي شيء مباشرة عن مغزى الصورة إنما تكتفي

58 محمود خليف الحياني، سيميائية الصورة البصرية في قصص الأطفال، الاستراتيجية والتكنيك، مرجع مذكور، ص 9

59 راجع، سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية، آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009، ص 73-95

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

بتصويرها ورسمها على شكل حالة إنسانية أو نموذج واقعي لكي يؤولها الطفل بحسب ايديولوجياته المختلفة والمتنوعة ولكن لا تبتعد عن منظومة وقواعد التلقي والتواصل السيميائي وسيرورته التي تتحدد بأهداف وغايات ورغبات وحاجات الأطفال."[60]

وبالنسبة لنا كدارسين لهذه الأعمال، فلا يمكن دائما أن نربط العالم الأيقوني برغبات الكاتب وتصوراته وتمثله بالأحرى لنص حكايته بصريا، وإنما الواقع وخاصة كما سيظهر في الفصل الثاني المخصص للحوارات مع المبدعات، أن هذه الرسومات منتوج يتم وفق إدراك فنان أو رسام تشكيلي يتولى هذه المهمة، قد تكون بتنسيق مع الكاتب أو الكاتبة، وقد يغيب هذا التنسيق، وأحايين يتدخل الناشر في هذا الشأن بما يُحقق الانسجام اللغوي والعيني. وعلى هذا الأساس فالصورة نتيجة نص لغوي، ولكنها ليست نتيجة منطقية أو حتمية لرؤية الكاتب وحده، فهي كذلك تجسيد لقناعات ورؤى الواضع للرسومات وسياسات الناشر كذلك.

1-3-1 مُقاربات سيميائية ثقافية

سنتجاوز الحديث المُطول عن النظرية، لأن الكلام سيطول كثيراً بهذا الخصوص[61]، وسنكتفي بالقول إن السيميائيات الثقافية تُراهن على التطبيقات أكثر مما تُقوي الادعاءات النظرية وهو ذات الشيء الذي أشار إله فيصل الأحمر في مُعجم السميائيات.[62] وأما في الأيقونتين أعلاه، وإذا استحضرنا لسيميائية لوتمان الثقافية، يُلفتنا فيها هي وغيرها من الأيقونات موضوع مهم، قد أخذ حيزاً واسعاً في البحث النظري والتطبيقي لدى الكثير من الباحثين المهتمين بالسيميائيات الثقافية على وجه الخصوص.

60 محمود خليف الحياني، سيميائية الصورة البصرية في قصص الأطفال، الاستراتيجية والتكنيك، مرجع مذكور، ص 90

61 راجع؛ يوري لوتمان، سيمياء الكون، ترجمة عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2011

62 فيصل الأحمر، معجم السميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2010، ص 97

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

أ- البناء السيميائي للذاكرة

يُعد البحث في الذاكرة من منظور السيميائيات الثقافية من القضايا الأكثر إثارة لدى يوري لوتمان، وقد ضمن كتابه "كون الذهن" تصوراته حول الذاكرة في بُعديها الفردي والجمعي ولما لها من دور وظيفي مركزي في كل سيرورة تفكيرية.[63] وصلة بالذاكرة فإن مجموع هذه الصور في قصص أمنة برواضي للطفل تتوجه إلى الذاكرة، هدفها تمثل الطفل للحظة في الماضي لم يَعشها مُطلقاً، وعلى هذا الأساس فإن هاجس انتعاش الذاكرة لدى الطفل والإسهام في ديناميتها يتملك كل هذه الأشكال الرسمية في تجاوراتها طبعاً مع المحكي القصصي، وهكذا "تنطوي فكرة إعادة تمثيل الماضي التاريخي على توضيح مجموعة من الحقائق وإقامة صلات بينها."[64]

إن رهانات الرسم الأيقوني تُعد رهانات ذاكِرية بامتياز، والاعتماد على هذه الذاكرة كمصفاة لتوضيح حقائق الماضي، وإفراغ ذهن الطفل من تصوراته المضطربة طريقة إبداعية تقدر الرسومات المصاحبة على صوغها بشكل ذكي، لذلك نتبين من خلال الصور أعلاه هذا الترسيخ للذاكرة الذي يعول عليه في نقش كل المعارف والمعلومات الوطنية على تلك الذاكرة الفتية للطفل "فالذاكرة تشكل خزاناً تتجمع فيه كل الصور العقلية والفعلية والماضية والحاضرة، فهي عصب التاريخ الذي يحضر فيه الغياب. وإن لغز الحضور والغياب يضعنا أمام مُفارقة الذاكرة والتخييل. وإن الفرق الجوهري بين الذاكرة والتخييل وإن اتفقنا في إشكالية حضور الغائب، إلا أن الذاكرة تتميز بكونها تُحيل إلى مرجعية واقعية سابقة ضامنة لخصائص الماضي وفي هذا ضمان لاستمراريتها."[65]

لقد قدم الباحث المغربي عبد الله بريمي جهوداً مُتواصلة لأجل تقريب طموحات لوتمان في بناء نظرية متميزة، وتطبيقات سيميائية مُجدية، ونجد الباحث في دراسته البناء السيميائي للذاكرة التي نحيل إليها بهذا الصدد يؤكد بأن "الإشكال في إعادة تمثيل هذا الماضي لا يبدأ مع التاريخ. بل مع الذاكرة لما لهذه

63 عبد الله بريمي، البناء السيميائي للذاكرة، مجلة أبوليوس، الجزائر، المجلد 8، عدد 2، 2021، ص 90

64 عبد الله بريمي، البناء السيميائي للذاكرة، مرجع مذكور، ص 89

65 Refer : Paul, Ricœur, Histoire et Vérité, Edition du Seuil, Paris, 2001, p.26

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

الأخيرة من امتياز في التعرف مباشرة وبشكل حدسي على الصور التي ظلت مُنطبعة وراسخة في أذهاننا باعتبارها علامة على ماضينا، خاصة حينما يتعلق الأمر بماض معطوب ومثخن بالجراح."[66]

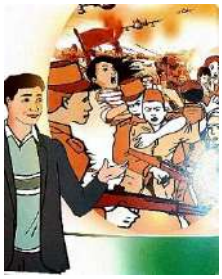

وإلى جانب سيميائية الذاكرة التي تُطرح بقوة في المُنجز القصصي للطفل، فإن "المثيرات والمؤثرات البصرية كذلك تُشكل بنية إدراكية يتعلم منها الطفل أشياء كثيرة فهي لُغة مفهومة للأطفال، فلذلك احتاجت إلى استراتيجية توافقية بين اللغة التواصلية والجمال والمضمون التربوي."[67] وهذا ما يظهر جليا في سياقات مختلفة، تجسد الصورة أعلاه واحدة منها.

2- رهان الاقتداء؛ تجسيد خطاب القيمة وتشاكل الأيقونة

توزعت هذه الدراسة إلى شقين؛ الأول وهو الذي خصصناه لمُناقشة قضايا الخطاب التاريخي وقضايا الصورة بين الجمالية والإيديولوجية عند أمنة برواضي في مختاراتها هاته، أما الشق الثاني فهو الذي نعرض فيه لأهمية خطاب القيمة وملاحظات حول التشاكُلات الأيقونية، وإذا ما عُدنا إلى محمد أنقار الذي اعتمدنا تعريفاته المفهومية كإطار نظري لهذه الدراسة، وعلى غرار الخطاب التاريخي، نجده يقول بصدد تعريفه لخطاب القيمة: "يعني خطاب القيمة في قصة الطفل الخطة المعتمدة قصصيا لإيصال مفهوم الخيرية المتجسد في مجموعة من الأحداث إلى القارئ الطفل."[68]

وبالنظر إلى المجموع الكلي لقصص الكاتبة، نستنتج أن رسائل القيمة، كانت تنبعث من مستويين: المستوى المضموني، وهو الذي تلعب فيه حساسيات اللغة أثرا بالغاً في تأدية مفعول القيمة وإشباعها، أما المستوى الثاني فيرتبط بالتطعيم الأيقوني، وفيه تلعب ثنائية المعلن والمضمر دوراً فعالا في تشكل هذا الإطار القيمي.

66 عبد الله بريمي، البناء السيميائي للذاكرة، مرجع مذكور، ص 89

67 محمود خليف الحياني، سيميائية الصورة البصرية في قصص الأطفال، الاستراتيجية والتكنيك، مرجع مذكور، ص 107

68 محمد أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، مرجع مذكور، ص 154

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

2-1 القيم في المنحى المضموني وحساسيات اللغة

برأي هايدغر (Martin Heidegger) تُبرز اللغة عالم الأشياء، مُظهرة للعيان كيانات وأشياء وألواناً وأصواتاً مُنفصلة. وبناء عليه يدعي هايدغر أن اللغة تُشكل الوسيلة التي ينهض من خلالها تاريخيا عالم أي شعب من الشعوب.[69] وعليه فإن للحساسيات اللغوية دور حاسم، في تقديم هذا العالم، في تقديم هذا التاريخ، وفي تقديم الإنسان، ولا شك أن تقديم هذه الأمور للطفل أشد تعقيداً لأن مطالب هذا التقديم صعبة جدا، ويجب أن تضع في نظرها مجموعة اعتبارات لهذا الطفل، ولأجل التخفيف والتمهيد في اللغة، ملحوظ من خلال قصص الكاتبة أمنة برواضي أنها تنهج نهجا في الافتتاحية القصصية، غالبا ما يكون قوامه التشويق والتوقع قبل الانتقال إلى صُلب القصة وجوهر الموضوع: "حتى لا أزيد من انتظاركم أذكركم أننا في شهر نونبر، وفي هذا الشهر عرف المغرب المسيرة الخضراء التي تعتبر تاجا على رؤوس المغاربة، وبذلك أضاف هذا الشهر انتصارا آخر إلى باقي انتصاراته، وعطاء باهرا إلى ما حققه في 18 من نونبر من استقلال للمغرب سنة 1956م."[70]

إن هذه القيم الجميلة التي تعكسها كل القصص والتي تصب في بناء الإنسان، وتنوير الوعي، وتقوية الذات، والتأسي بالسلف، والتحلي بالشهامة الوطنية، قد صيغت كلها في قوالب لغوية تعتمد على حساسيات مختلفة، أحياناً تكون وجدانية تحفيزية ومرات أخرى إرشادية أو توجيهية، أو بمسحة الإخاء والاكتشاف المعرفي، "إن اللغة هي وسيلة الأدب، مثلما أن الرُخام أو البرونز أو الطين هي مواد النحات".[71] وفي النقاط التالية نتبين تجاذبُات هذه المستويات مجتمعة في النصوص القصصية موضع النظر.

أ- لُغة التحفيز، لغة الوجدان

بُغية تمرير كل ما هو جميل، ولتشييد الطفل الوطني، ينبني ذلك من خلال رُواة الكاتبة على فلسفة سردية قوامها التأثير العاطفي وبنيتها تتغذى من خطابات التقوية والتشجيع "..اليوم أنت بطل من موقعك إذا عرفت كيف تجدد ولاءك للوطن، كيف تبنيه بقوة وعزيمة، كيف تحافظ عليه من الأعداء الذين يتربصون به كل ساعة وحين، كيف تترك رايته ترفرف عاليا في عزة وكبرياء، كيف تبنيه بنجاحاتك،

69 راجع؛ كاثرين بيلسي، الثقافة والواقع، نحو نظرية للنقد الثقافي، ترجمة باسل المسالمة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2017، ص 18

70

71 إدوارد سابير، اللغة والأدب، ضمن كتاب اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة واختيار سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، ص 30

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

وإنجازاتك، وعلمك وتفوقك، كيف تعطي صورة مشرقة عنه تكون له عنوانا، ويكون بلدك فخورا بك وبأمثالك على مر الأزمان."[72]

وليس يخفى ما للتشجيع باعتباره إكسير النجاح من انعكاسات إيجابية على العالم الداخلي للأطفال، فالطاقة الدفينة تحتاج وفقط إلى لُغة مُحفزة، لغة قادرة على أن تقتحم الداخل فتحوله إلى إنجاز ملموس، ولذلك رغبة الطفل دائما وحيويته الملحوظة تنبَع من لُغات الكبار الموجهة إليه، إن الطفل هو نتاج لانعكاسات خطاب الكبار، ووعيا من الكاتبة بكل ذلك فقصصُها مُفعمة بلُغة الأمل، بلغة القوة، وبالتشجيع الذي يحمل الطفل على العطاء في كل وقت وحين.

ب – لُغة النصح والإرشاد

بجوار هذه اللغة الوجدانية المحفزة، تتدفق لغة النصح والإرشاد، فما أحوج الطفل في العادة إلى النصح، وإلى الوعظ، ففي نهاية كل قصة، يفترض أن يبدأ الرهان "نعم يا جدي نحن رجال الغد، ونفدي مغربنا بالغالي والنفيس."[73] إن هذا الاستثمار للغات والخطابات المختلفة التي تنزل إلى مستوى الطفل وتستوعب حاجياته منها، إنما تُنم عن قُدرات وكفاءات كاتبة قد خبرت مجال الكتابة للطفل بصفتها قاصة، ولكنها أيضا قد خبرت عالم الطفل بصفتها مُدرسة، وخبرت حاجيات الطفل بصفتها أم، ولعل هذا التعدد في الصفات هو المَانح لكل هذا الثراء والغنى الذي زخَرت به قصص الأستاذة أمنة برواضي.

وبوجه عام لا يُمكن إغفال الدور الثقافي للقصة بالنسبة للطفل، فالقصة تحظى من بين فنون الأدب بمكانة متميزة في حياة الأطفال، "فهي من أكثر الفنون الأدبية ملاءمة لميولهم ومن أشدها تأثيرا في سلوكهم، وأقواها إنارة لتفكيرهم واستثارة لعواطفهم، وهي بما تحمله من أفكار متعددة، وخبرات متنوعة، وما تدعو إليه من قيم وتقاليد أصيلة، بأسلوب غير مباشر إنما تدفع بالطفل إلى طريق التنشئة الصحيحة، وتضع اللبنات الأولى في بناء الشخصية، وتحديد هويته، لذا فإنها تعد إحدى الوسائل المهمة في تكوين ثقافته، وأحد الروافد الأساسية التي تسهم في تنمية وعيه."[74]

---

[72] أمنة برواضي، البطل محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال، ص 36

[73] أمنة برواضي، موحى احمو الزياني، ص 30

74 سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 124-125

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

ج- لُغة التوجيه والإشارة

إن التقليل من الإرشاد المُباشر أمر ضروري في خُطة الكتابة للطفل، لأن الإرشاد المباشر لا مَحالة قد يُشعر الطفل بالملل.75، وبالتالي فالبحث عما يُمكّن من إيصال المحتوى دون تقريرية، أمر ضروري في قصة الطفل، وهو ما سَعت إليه الكاتبة وفهمته جيدا، وهذا ما يبرز في سياقات كثيرة، كأن نقرأ بخصوص الإرشاد للقراءة على هذا الشكل: "عدد الموقعين يا أبنائي على الوثيقة ستة وستون (66) شخصا. بقي عليكم البحث عن نص الوثيقة وقراءته، سوف تجدونه على المواقع الالكترونية بخط واضح."[76]

وصلة بذلك فإن نجاح الكتابة للطفل هو رهين الاشتغال على أهمية الحكاية المسرودة للطفل في قيمتها الموضوعية من جهة، وفي الأدوات المستخدمة لإيصالها، وترسيخها في ذهنه من جهة[77]، وكل هذا حاولت الكاتبة إذكاء طرق التعامل معه، وهو ما أفضى إلى سردية للطفل بهذه القوة.

د- لغة الإخاء والمحبة

باب القيم مشرع على الكثير من النقاش المستفيض، فكثيرة هي القيم؛ قيم الوفاء والتضحية وتحمل المسؤولية والعدل والمحب، ولا يمكن على كل حال أن نحيط إحاطة شاملة، ولكن لن نغفل عن لغة الحب والإخاء فهما أسمى رتب الجمال البهاء الإنساني، فالمحبة ظهرت بالفعل في النسيج القصصي عبر هذا التفاعل الودود الذي كان يربط الجد بأبنائه: "نضال: طبعاً أستفيد منها كثيرا لكن ما تقوم بسرده وما ترويه لنا وطريقة تشخيصك للأحداث تجعلني أسافر عبر الزمن والمكان وأحس مع الأبطال بنشوة النصر ويصعب على تلك الأحداث أن تغيب عن ذاكرتي."[78]

والتربية على المحبة والإخاء يتجاوز المستوى العلائقي البسيط إلى المستوى السياسي المُركب، فنجد الكاتبة تُحدثنا عن ماضي المغرب في التسامح وأعرافه في التعاون والإخاء وحُسن علاقات الجوار وقد ورد على لسان الأستاذ راوياً في القصة: "هنا تقع دولة الجزائر، وهي تحد المغرب من جهة الشرق. والجزائر والمغرب يا أبنائي كانتا عبر التاريخ الواحدة منهما سندا للأخرى، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقع

75 راجع، دليلة مكسح، الأبعاد القيمية في أدب الأطفال، المجموعة القصصية أخلام العصافير لعبد الله لالي نموذجا، مجلة فكر الثقافية، السعودية، عدد 15، 2016، ص 79

76 أمنة برواضي، وثيقة المطالبة بالاستقلال-11 يناير 1944-، ص 43

77 راجع، دليلة مكسح، الأبعاد القيمية في أدب الأطفال، المجموعة القصصية أخلام العصافير لعبد الله لالي نموذجا، مرجع مذكور، ص 79

78 أمنة برواضي، موحى احمو الزياني، ص 11

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

الجزائر في أزمة كيفما كان نوعها؛ اقتصادية أو سياسية أو غيرها.. ويتخلى عنها المغرب، كان دائما إلى جانبها ويسارع في مد يد المساعدة لها."[79]

2-2 القيم في ظل المعرفة التاريخية

أنجزت الباحثة السعودية نجية محمد[80] بحثاً ميدانياً بعنوان: "استكشاف تأثير القصة للطفل على الأبعاد التنموية، تحليل بحثي شامل."، وقد نُشر هذا العمل الجاد باللغة الإنجليزية في المجلة الدولية للعلوم المبتكرة وتكنولوجيا البحوث سنة 2023[81] وقد استكشف هذا البحث التأثير مُتعدد الأوجه لقصص الأطفال اجتماعياً وثقافياً وأخلاقياً ومعرفياً، خلال نَهج مُختلط الأساليب، أجري من خلال تحليل أثر خمسون قصة لها شعبية واسعة ومتعددة المضامين والمحتويات، وهمت هذه الدراسة الأطفال في فئة عمرية بين خمس سنوات وعشر سنوات، ومن خلال تقييم التأثير كشفت الباحثة نتائج مُبهرة لأثر تلك القصص على أخلاق الأطفال وصداقاتهم وقُدرتهم على حل النزاعات، ولوحظت مكاسب معرفية كبيرة...[82]

وبناء على هذا الأساس، فلا شك أن العائد المعرفي والقيمي للطفل عبر النهل من تخوم التاريخ ومرجعياته سينعكس على وعيه الثقافي ومنظوراته للوجود والموجودات، وقد لوحظ ميل شديد لتذوق المعارف التاريخية لدى الناشئة بشكل عام، وهذا ما تؤكده قصص برواضي "لقد وعدتنا أن تحكي لنا عن المقاومة في جبال الأطلس ضدّ الاستعمار الغاشم، وأظن أن الوقت حان لتفي بوعدك لنا."[83]

إن شغف الطفل بهذا الاستطلاع التاريخي هو سر نجاح القيم التي يحملها "بدأ الصغير يسرد قصة المقاومة في جبال الريف، وكأن ما قدمه الأستاذ من شرح نُقش على ذاكرته الصغيرة، لم يغفل أية نقطة إلا وذكرها، والغريب في الأمر أنه وصف الصور لوالده، تلك التي عرضت أمامهم في الفصل، ووقف كثيرا عند صورة محمد بن عبد الكريم الخطابي يصف نظرات عينيه المتطلعة إلى الحرية، وجلبابه وهمته العالية."[84]

---

[79] أمنة برواضي، معركة إيسلي، ص 9

80 أستاذة باحثة، مديرية التربية والتعليم بالمدينة المنورة، وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية.

81 Refer: Najiah Muhammed, Exploring the Influence of Short Stories on Childhood Development: A Comprehensive Research Analysis, International Journal of Innovative Science and Research Technology, Volume 8, Issue 12, December – 2023

82 Ibid, P 267

[83] أمنة برواضي، موحى احمو الزياني، ص 7

[84] أمنة برواضي، البطل محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال، ص 15

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

وليس يخفى أن الهدف من رواية التاريخ هو التأسي والاقتداء ومحاكاة النموذج في عالم متزاحم بالرقميات، مندفع بالمحاكاة غير المحمودة، ولهذا فكتاب وكاتبات القصص يحملن على عاتقهن هذه المسؤولية، مسؤولية التأثير القرائي تضع في حسابها تصحيح المسارات عند الطفل ولو قليلا، فالرهان على المحكي وعلى طريقة المحكي إذن، وفي القصص موضوع دراستنا، أولت الكاتبة اهتماما واسعا لهذا الأمر "أجاب الجد: وهذا ما أهدف إليه يا نضال؛ أن أسجل على ذاكرتكم الصغيرة تاريخ بلادنا، وبطولات شعب أبيّ عانى الكثير من أجل الاستقلال والحرية، أو قدم الكثير من الشهداء لتعيش باقي الأجيال في سلم وسلام، ولكي تعرفوا ما تكبده الأجداد، وتعرفوا بدوركم كيف تحافظوا عليه وتدافعوا عنه ضد من أراد به سوء."[85]

هاجس التأسي والاقتداء كان حاضرا في هذه الأعمال القصصية، وتنهج الكاتبة طريق الوصول من خلال بناء معرفة تاريخية وطنية بميكانيزمات سردية بسيطة وهذا ما ضمن لها نسبة أوفر في ترويج القيم "قرر البطل ابن البطل أن يحمل مشعل المقاومة والحرية، وأن يكمل ما بدأه والده، ويقود المقاومة في جبال الريف، وأن يلقن المستعمرين درسا لن ينساه الناس مهما تقدمت الأعوام، ويسجله التاريخ في صفحات النضال بماء من ذهب."[86]

علاوة على مدخل القيم، فإن مدخل المعرفة أيضا كان مقصودا في ذاته ولذاته، فقد هدفت القاصة إلى إيصال حجم مهم من المعلومات، وهي التي يكون الطفل المغربي في أمس الحاجة إليها مدرسيا واجتماعيا، فهي اللبنات الأساسية لبناء وعي تاريخي وطني، وهذا ما لم تفلته الكاتبة بل جسدته في عديد من المرويات، يحكي الجد مخاطبا في أبنائه متحدثا عن المسيرة الخضراء "كان الهدف من المسيرة الخضراء يا أبنائي هو استرجاع الأقاليم الجنوبية التي ظلت تحت السيطرة الإسبانية بعد استقلال المغرب سنة 1956م."[87] ويحكي وقد استمال انتباههم متكلما في وثيقة المطالبة بالاستقلال "لقد كان لوثيقة المطالبة بالاستقلال الأثر الكبير في نفوس المغاربة الأحرار، ونقطة تحول في مسلسل النضال الوطني الذي قاده الشعب بقيادة ملك البلاد..."[88]

[85] أمنة برواضي، قصة ملك وشعب "المسيرة الخضراء"، ص 15
[86] أمنة برواضي، البطل محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال، ص 20
[87] أمنة برواضي، قصة ملك وشعب "المسيرة الخضراء"، ص 19
[88] أمنة برواضي، معركة إيسلي، ص 36

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

1-2-2 سيميائية القيم بين المُعلن والمُضمر

تعمد الكاتبة أمنة برواضي إلى استراتيجية مبُدعة في انتقاء أسماء الشخصيات بما يضمن التأثير الوطني في نفوس الأطفال واليافعين وهذه العناية بالتسميات ومنحها مدلولات خاصة لها أمر ملحوظ كثيراً؛ فشخصيات من قبيل نضال، الحاج علي مثالاً، وكذا غيرها التي كانت فاعلة في النصوص الخمسة، تكتسي أبعاداً دالة؛ فنضال الطفل اسم لأجل استمرار النضال والمقاومة، والحاج علي الجد الراوي اسم لإفادة الصدق والأمانة، فهو كان ينقل التاريخ لأبنائه صادقا أمينا، وهم على عهدتهم استمرار النضال والدفاع عن حرمة الوطن، وهنا يتوضح أن الكاتبة لم تبني عالم حكاياتها بشيء من التلقائية بل أحكمت صنعا في تدبير تفاصيله.

وأما على مُستوى سيميائيات الخطاب البصري في ارتباطاتها بترويج القيم، فالزاوية التحليلية تفرض قراءة سيميائية عميقة لمفاهيم الرسم وفلسفته في علاقة ذلك بالكلام السردي، واستناداً إلى ذلك أعود بهذا الصدد إلى مقال بحثي هام أنجزه باحثين أمريكيين هما: Joanne M. Golden[89] بمعية Annyce Gerber[90] تحت عنوان: قصص الأطفال المحكية والمصورة من منظور سيميائي.[91] ويرى الباحثين في هذا السياق أن كتاب القصة المحكية المصورة نوع فريد من الرموز، يتم فيه إنشاء المعنى في وقت متلازم ما بين الإشارات اللفظية والإشارات البصرية، وهو ما وصفه رولان بارت (1977) بأنه وظيفة التتابع، حيث يكمل كل نظام الآخر، تدعم الكلمات الصورة والصورة تُساند الكلمات، وهو ما يشكل لوحدة الرسالة على مستوى القصة.[92]

[89] أستاذ باحث من جامعة ديلاوير، الولايات المتحدة الأمريكية..

[90] أستاذ باحث من منطقة مدارس الواحة الهندية بابوكيفاري، سيلز، أريزونا، الولايات المتحدة الأمريكية..

91 Refer: Joanne M. Golden & Annyce Gerber, A SEMIOTIC PERSPECTIVE OF TEXT: THE PICTURE STORY BOOK EVENT, Journal of Reading Behavior, 1990, Volume XXII, No. 3

92 Ibid, P 207

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

ففي قصة موحى احمو الزياني كمثال، وكما تظهر المختارات أعلاه، نُصادف هذا الرسم الأيقوني الذي يُبرز نظاماً مُتكاملاً من العلامات الهادفة إلى صناعة القيمة، ومن ثمة تحصيلها على مستوى التلقي، وتشير الصورة إلى تفاعُلات إشارية: (الجلسة المتسمة بالاحترام، الابتسامة البادية على محيى الأطفال، النظافة التي يتمتعون بها، الملبس الأنيق والمظهر الذي يظهرون به، اللباس التراثي الأصيل الذي يرتديه الجد...) وهكذا يجري النقاش في عالم هذه الرموز التي تحمل في طياتها قيما إيجابية تستهدف بناء هذا الطفل من خلال ما يراه ويستوعبه عينيا. وكما يؤكد على ذلك سعيد بنكراد فإن التمثيلات البصرية؛ أي مجموع ما يشتغل كعلامات بصرية، لا يمكن أن تُدرك إلا في حدود إحالتها على قسم من الأشياء.[93]

إن الكلمات في قصص الأطفال تحمل عددا من التفاصيل المتعلقة بأحداث القصة، بينما تعكس الصور مشاهد مختارة، ولكن الكلمات والصور معاً هي أجزاء من تركيب أكبر (بارت، 1977) والعلاقة بين الكلمات والصورة قد تختلف حسب المؤلف والرسام. ففي بعض الكتب المصورة تنقل الصور جزءاً كبيرًا من السرد، وفي الكتب الخالية من الكلمات، فإن الجزء بأكمله يتم فيه نقل السرد من خلال التسلسل المرتب للصور.[94] وبالنظر إلى نماذج الصورتين أعلاه، وفي صلتها بنص الحكاية، نستشف بأن "النص يلعب دوراً أكثر بروزاً وتعمل الرسوم التوضيحية على تفسير جوانب مُختارة منه."[95]

[93] سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، سلسلة شرفات،77، منشورات الزمن، الرباط، ط1، 2003، ص 28

94 Refer: Joanne M. Golden & Annyce Gerber, A SEMIOTIC PERSPECTIVE OF TEXT: THE PICTURE STORY BOOK EVENT, Journal of Reading Behavior, 1990, Volume XXII, No. 3, P 208

95 Ibid, P 208

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

يُغري أيضاً هذا التشاكل الأيقوني وبناء المعنى البصري في قصة ملك وشعب "المسيرة الخضراء"، "فعندما يواجه الأطفال الرسوم التوضيحية، فإنهم ينسبون إليها معاني جديدة في عالمهم الخاص، كما يكتشف الأطفال الصور التوضيحية بوعي وعُمق أكثر."[96]

تنزع الصورة في التمثيل الخطابي في قصة البطل محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال إلى نوع من التواصل المريح مع الطفل، إذ تعرفه على شخصية هذا البطل فوتوغرافيا، وتظهر الصورة الثانية هذا الطفل مقتديا ومتأسيا بالبطل النموذج، وهكذا فإن إبلاغ قيم الأصالة والتراث، ثم قيم الاقتداء والتأسي تأتت بمزاعم الرسم وترسخت بمعاني النص "إن اللوحات الموجودة في كتب قصص الأطفال، والتي تم إنشاؤها بناءً على حساسية الفنان وواقع الطفل، تُثري عاطفية الأطفال وتنمو القدرة المعرفية مع المحفزات البصرية منذ الطفولة المبكرة؛ يمكن أيضاً أن تُساعدهم على تطوير قدراتهم العاطفية والمعرفية والمهارات اللغوية. ففي كتب الأطفال، يمكن أن تكون الرسوم التوضيحية حافزاً جمالياً يخلُق المعنى ويشرح المعنى عند التفكير فيه مع النص.[97]

ومن خلال قصة معركة إيسلي، نتذوق سيميائية التقارُب والمُفارقة بين الأيقوني واللغوي؛ في المواءمة بينهما حيناً، وفي عدم المواءمة أحيان أخرى، فقد لاحظنا أن الصورة كانت تتماشى مع ماهية المضمون

96 H. Beyza Canbazoglu and M. Sencer Bulut Ozsezer, Picture in Children's Story Books: Children's Perspective, International Journal of Educational Methodology, Volume 4, Issue 4,2018, P 103

97 Ibid, P 103

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

مرات، ولكنها لم تكُن تتساوق معه في مرات أخرى، إذ يحدث أن يكون "عدم التماسك بين الرسائل المرئية واللفظية، والمراجع التناصية، والافتراضات والتمثيلات المشفرة ثقافياً التي يتناولها الأداء القصصي."[98]

إن الكتاب القصصي المُصور هو أحد أنواع أدب الأطفال الذي أثبت أنه ليس تعليمياً فحسب، ولكنه أيضاً فني وعميق ويُقدم بحثاً مُستمراً عن جمالية جديدة، فهو يجمع بين التعقيد والغموض والإيجاز،[99] ويمكن للصورة تعزيز القُدرة على القراءة، وبغض النظر عن السبب الذي جعل البحث السيميائي الأبقوني في أدب الطفل مُهمشاً، فإن الحقيقة هي أن الدراسات حول الكتاب القصصي المصور، ركزت فقط وبشكل كبير على العلاقة بين النص والصورة، وتجلى ذلك في كثير من المؤلفات البحثية.[100] وإذا كنا قد سجلنا سابقا ثنائية التقارب والمفارقة بين مضمون وصورة قصة معركى إيسلي لبرواضي، فإننا بخصوص قصة "وثيقة المطالبة بالاستقلال -11 يناير 1944- نُسجل وحدة التجانس والنّسقية الموضوعية بين مُكوني اللغة والصورة، وتلكم عينة مختارة من تلك الأيقونات أعلاه، تُبرز ذلك التماهي المُتواصل بين المعنى اللفظي والمعنى الأيقوني.

98 Elisabeth Parsons, Starring in the Intimate Space: picture book narratives and Performance Semiotics, IMAGE AND NARRATIVE, Online Magazine of the Visual Narrative, Issue 9, Published: October 2004

99 Refer: Eduardo Santiago-Ruiz, The pencil and the dragon: semiotics of sequentiality in the children's picture book, Ocnos: Journal of reading research, 20 (3), 2021, P 2

100 Ibid, P 2

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

- على سبيل الختم

تأسيساً على كل ما سبق، ومن مُنطلق التجديل التحليلي والخطابي للنصوص القصصية الخمسة، يمكن القول إن أمنة برواضي قد أمتعت وأفادت وأبدعت من خلال مُنجزها للطفل، وتقودنا في عالم كتابتها بوثوقية وإحكام من الإبداع إلى الإمتاع، إن مشروعها القصصي المُتواصل والذي يضُم أيضاً مسرحيات للطفل ومشاريع روائية لها شأنها في الدرس النقدي والأكاديمي، وكذا مجاميع قصصية أبانت عن حضورها ووزنها، لكل هذه الاعتبارات، فقد أقدرنا القول على أن الدينامية الإبداعية لدى الأستاذة أمنة برواضي قائمة بأفق إنساني واعد.

وأمام كل الإكراهات التي تصدُّ الانطلاقات الإبداعية المُخصصة للناشئة في بلادنا، فلا يمكن عموماً إلا التنبؤ بوضع مُشرف قادم يرسُم مَعالم اليقظة الإبداعية والنقدية في مُدونة أدب الطفل، وإذا كنا على علم تام بأن ما يُصدر عن الدول الأوروبية كل عام هو أعداد كبيرة من كتب الأطفال "إذ تنشر كل دولة منها سنويا خمسة آلاف عنوان بملايين النسخ، وتنتج السويد لوحدها 1500 عنوان من كتب الأطفال وتشتري الدول من كل عنوان 1500 نسخة توزعها كل المكتبات العامة."[101] وهذه حصيلة رُصدت في سنوات فائتة، ما يُفيد أن الأمر في القطر الأوروبي في تصاعد كمي ونوعي دائم، ومأمول في المشهد العربي بلوغ القليل من هذا الوضع المرصود، وفي المشهد المغربي أن يجتهد أكثر، وهذا ما يُعول عليه.

إن الهاجس التجاري الذي يسكن المؤسسات الوصية على النشر، قد يرمي بالإبداع الحق إلى الهامش، فالاهتمام المُبالغ فيه بما يجني الربح، قد ينعكس على الجودة الإبداعية وجوهر الابتكار، ومع الأسف "يلعب الناشرون أدوارا أساسية في تعزيز عملية نشر هذه الكتب بكافة الوسائل، ومهما كانت معايير الخير والجودة والقيمة والمحتوى وأثرها على الأطفال فهذا لا يهمهم بشكل قوي، فهم يبحثون عن الكتب التي يمكن تحقيقها النجاح التجاري في الساحة الأدبية."[102]

وكخلاصة مُقاربتنا للتجربة الإبداعية عند أمنة برواضي، يلزمنا التأكيد من خلال المُتوصل إليه بأن "أدب الأطفال عندنا اليوم بحاجة ماسة إلى تلبية المطالب التربوية والنفسية والاجتماعية لعالمنا المعاصر، ولهذا يجب أن يتمتع أدباء الأطفال اليوم بالخبرة والذكاء والمعرفة الجيدة بأطوار الطفولة ومراحل نموها،

[101] عبد اللطيف الصوفي، فن القراءة: أهميتها، مستوياتها، مهاراتها، أنواعها، دار الفكر للنشر، دمشق، ط5، 2009، ص 123

[102] Hisham Muhamad Ismail, Theory and Practice in Language Studies, P 598

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

وما تتطلبه كل مرحلة منها، من أنواع النصوص ويكون على دراية تامة بالموضوعات التي يقبل الأطفال عليها ومن التمكن من معالجتها فكرا وعاطفة، وأسلوبا، ومردودا تربويا، واجتماعيا."[103]

103 بن معمر بوخضرة، الأبعاد التربوية والاجتماعية في أدب الطفل، مرجع مذكور، ص 28

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الرابع والثلاثين- السنة الرابعة-2024م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
Issue Thirty Four - fourth year – 2024
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

مراجع References

متن الدراسة

أمنة برواضي، البطل محمد عبد الكريم الخطابي ومعركة أنوال، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المغرب، ط1، 2019

أمنة برواضي، قصة ملك وشعب "المسيرة الخضراء"، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المغرب، ط2، 2021

أمنة برواضي، موحى احمو الزياني، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المغرب، ط1، 2022

أمنة برواضي، معركة إيسلي، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط1، 2022

أمنة برواضي، وثيقة المطالبة بالاستقلال-11 يناير 1944- منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط2، 2022

الكتب بالعربية

إدوارد سابير، اللغة والأدب، ضمن كتاب اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة واختيار سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993

سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006

سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية، آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009

سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، سلسلة شرفات،77، منشورات الزمن، الرباط، ط1، 2003

عادل محلو وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، إصدارات رابطة الفكر والإبداع بالوادي، الجزائر، ط1، 2004

عبد اللطيف الصوفي، فن القراءة: أهميتها، مستوياتها، مهاراتها، أنواعها، دار الفكر للنشر، دمشق، ط5، 2009

عبد الله إبراهيم، عبد الله إبراهيم، التخيل التاريخي، السرد والامبراطورية والتجربة الاستعمارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2011

فيصل الأحمر، معجم السميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2010

كيمبرلي رينولدز، أدب الأطفال، مقدمة قصيرة جدا، ترجمة ياسر حسن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2014

كاثرين بيلسي، الثقافة والواقع، نحو نظرية للنقد الثقافي، ترجمة باسل المسالمة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2017

ليلى الدباغ، كتابة تاريخ الوطن العربي على مستوى الأطفال، نقلا عن: هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه ووسائطه، سلسلة دراسات، عدد 127، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، 1978

محمد حسن برنعيش، أدب الطفل أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1996

محمد أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، طَ1، 1998

مرزوق بدوي، الهوية والانتماء في قصص الأطفال في الأدب الفلسطيني الحديث، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، نابلس، فلسطين، المجلد 27، (3)، 2014

محمود خليف الحياني، سيميائية الصورة البصرية في قصص الأطفال، الاستراتيجية والتكنيك، دار غيداء للتشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2017

يوري لوتمان، سيمياء الكون، ترجمة عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2011

دراسات

إدريس الخضراوي، "السرد موضوعا للدراسات الثقافية": نحو فهم لعلاقة الرواية بجدلية السيطرة والمقاومة، مجلة تبين، قطر، عدد 7، 2014

أسيل مهدي ناجم ونوال مهدي الطيار، دور القصة في حياة الطفل (دراسة نظرية)، منشورات مجلة كلية التربية، جامعة واسط، (49)، (1)، 2022

بن معمر بوخضرة، الأبعاد التربوية والاجتماعية في أدب الطفل، مجلة الفكر المتوسطي، الجزائر، عدد 11، يونيو 2016

حواء بيطام، نحو بناء معجم للطفولة، دراسة في القاموس القصصي وانعكاساته على الطفل، مجلة نتائج الفكر، المجلد 5، عدد 2، الجزائر، 2021

دليلة مكسح، الأبعاد القيمية في أدب الأطفال، المجموعة القصصية أحلام العصافير لعبد الله لالي نموذجا، مجلة فكر الثقافية، السعودية، عدد 15، 2016

عبد الله بريمي، البناء السيميائي للذاكرة، مجلة أبوليوس، الجزائر، المجلد 8، عدد 2، 2021

مراجع بالأجنبية

- Eduardo Santiago-Ruiz, The pencil and the dragon: semiotics of sequentiality in the children's picture book, Ocnos: Journal of reading research, 20 (3) , 2021

- Elisabeth Parsons, Starring in the Intimate Space: picture book narratives and Performance Semiotics, IMAGE AND NARRATIVE, Online Magazine of the Visual Narrative, Issue 9, Published: October 2004

- Joanne M. Golden & Annyce Gerber, A SEMIOTIC PERSPECTIVE OF TEXT: THE PICTURE STORY BOOK EVENT, Journal of Reading Behavior, 1990, Volume XXII, No. 3

- Hisham Muhamad Ismail, Theory and Practice in Language Studies, Vol. 13, No. 3, pp. 593-598, March 2023

-H. Beyza Canbazoglu and M. Sencer Bulut Ozsezer, Picture in Children's Story Books: Children's Perspective, International Journal of Educational Methodology, Volume 4, Issue 4, 2018

- Koss, M. D. (2015). Diversity in Contemporary Picture books: A Content Analysis. Journal of Children's Literature, 41(1), 32

- Najiah Muhammed, Exploring the Influence of Short Stories on Childhood Development: A Comprehensive Research Analysis, International Journal of Innovative Science and Research Technology, Volume 8, Issue 12, December – 2023

- Ubaydullayev Ilhomjon, The Importance of Children's Literature, Pindus Journal of Culture, Literature, and ELT, Volume 9, September-2021

- Paul, Ricœur, Histoire et Vérité, Edition du Seuil, Paris, 2001

- Roderick McGillis "Voices of the other, Children's Literature and the Postcolonial Context", Routledge, New York, 2000.

- Roderick McGillis, "Literary Studies, Cultural Studies, Children's Literature, and the Case of Jeff Smith," Children's Literature Handbook. Edited by Karen Coats, et al. New York and London: Routledge, 2010